E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قبائل أولاد نايل في الجزائر بين الترحال والاستقرار

(مواقفهم بين الرفض والمقاومة والثورة)

Ouled Nail tribes in Algeria between travel and stability

درويش الشافعي

جامعة غرداية ، الجزائر

chafaiderouiche@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: **2019/02/18** تاريخ القبول: **2019/09/20** تاريخ النشر: **2020/01/31**

الملخص:

مازالت الدراسات المتعلقة بتاريخ أولاد نايل شحيحة إلى يومنا ،مقارنة بدراسات تاريخية أخرى تتعلق بتاريخ الجزائر ،ويعود ذلك في الحقيقة إلى قلة الوثائق والمصادر التي تكلمت عن الحقبة من تاريخنا ،خاصة في الفترتين الوسيطة والحديثة .يضاف إلى ذلك طبيعة التركيبة الاجتماعية لقبائل أولاد نايل ،الذين اعتمدوا في حياتهم اليومية على الترحال والتنقل ،مما جعل الروايات الشفوية تبقى المصدر الأساسي لتاريخ المنطقة .

الكلمات الدالة:

أولاد نايل ،الجزائر ،سيدي نايل ،العهد العثماني ،الأمير عبد القادر، المقاومة ،الاستعمار الفرنسي

Abstract:

Still Studies related to the history of Ouled Nail few to the present day ,compared to other historical studies from history of Algeria ,this is due to the lack of documentation and resources ,especially intermdiate and modern periods .In addition to the nature of the Social structure of the tribes of Ouled Nail ,Who in their lives relied on travel and mobility ,oral narratives remain a major source of history in the region .

Key Words:

Ouled Nail ,Algeria ,Sidi Nail ,Ottoman era ,Prince Abdel kader ,Resistance ,French Colonialism .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ركَّز المؤرخون سواء منهم المحليون أو الأجانب كثيرا على تاريخ الجزائر خلال العصور المختلفة ،بمختلف جوانبه .لأغراض معينة ومتباينة من فئة إلى أخرى ،لكنهم من جهة أخرى أهملوا الكثير عن جوانب أخرى من هذا التاريخ .ويدخل في هذا الإطار تاريخ بعض القبائل الجزائرية ،التي لها ثقلها الديموغرافي ،والاجتماعي والتاريخي ،ونقصد هنا في هذا المقال قبائل أولاد نائل .والتي أهملتها الدراسات التاريخية وخصوصا المحلية ،على الرغم من تناولها من بعض الدارسين غير المتخصصين ،وعلى وجه الخصوص الفرنسيين منهم ،في إطار مسحهم لخريطة الجزائر اثنيا وطبيعيا وجيولوجيا ،منذ دخولهم الأرض الجزائرية ،وهذا في إطار توسيع المشروع الاستعماري . وعلى الرغم من ذلك ومن طبيعة تلك الدراسات ،إلا أنه لا يمكن إهمالها ،بل تعتبر حقيقة من المصادر الرئيسية لتاريخ أولاد نايل ،وخاصة خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة الاستعمارية .

سأحاول في هذا المقال على الرغم من شح المادة التاريخية ،أن أغامر لعلي أفيد بعض القراء ،أو أفتح بابا للبحث ،أعلم أنه سبقني إليه الكثير ،لكني أريد إضافة ولو الشيء القليل ،لأثير نخوة علمية من أجل دراسة علمية جادة ودقيقة لمثل هذه المواضيع ،المحلية ،والتي من خلالها يبنى التاريخ العام لجزائرنا الحبيبة .دون إقصاء أو تهميش طرف أو آخر من ربوع هذا البلد الحبيب . والإشكال المطروح في هذا المقال ،يدور حول عدة تساؤلات أدرجتها في ما يلي :من هم أولاد نايل ؟وعن أصلهم ؟ ومواطنهم في الجزائر ؟ وكيفية ترحالهم ومعيشتهم ومدنهم ؟وماهي أهم التطورات التي عرفتها قبائل أولاد نايل خلال العصور الحديثة والمعاصرة ؟ وماهي طرق معيشتهم اليوم في الجزائر ؟وماهي مسارات ترحالهم في الجزائر بحثا عن مواطن الماء والكلأ ؟ وماهي أهم حواضرهم اليوم في الجزائر ؟.

1- مصادر ومراجع الدراسة :

تجدر الإشارة كما ذكرت سالفا أن المادة التاريخية المتعلقة بموضوع قبائل أولاد نايل ،قليلة إن لم نقل شحيحة تكاد تكون منعدمة ،باستثناء بعض الكتابات الغير متخصصة ،والتي هي بحد ذاتها أساسية حول تاريخ هذه المجموعة الإثنية الهامة في الجزائر ،وخاصة خلال العصور الحديثة والمعاصرة .ولعل من لهمها :

- بعض المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية لكتاب فرنسيين la Revue Africaine.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- كتاب للأب الفرنسي الذي عاش في مدينة الجلفة خلال الفترة الاستعمارية والمعروف بعبد الرحمان. وهو الأب فرونسوا دو فيلاري .
- كتاب من أربعة أجزاء لأحد أئمة الجلفة حول تاريخ أولاد نايل وهو الشيخ قويسم الميلود.
- بعض الكتب الحديثة لكتاب ليسوا مؤرخين .

2- التعريف بقبائل البدو الرحل :

الرحل هم قوم يعيشون أساسا على الرعي ،وخصوصا رعي الجمال والأغنام والماعز ،وحينما تأتي الحيوانات على ما في المرعى من العشب ،يكون الأوان قد حان ؛لكي تنتقل القبيلة للبحث عن مرعى اخصب واجدى ،ولكن الرحل لا يهيمون على وجوههم في البحث عن مرعى جديد ،تاركين مقودهم لمجرد الصدفة .فهم لا يخرجون من المنطقة الواسعة التي امتدت فيها جذورهم ،والتي ينتمون إليها روحيا واجتماعيا .والهجرة من المنطقة التي استوطنوها ،لا يقوم بها الرحل إلا عند الضرورة القصوى ،وفي حالة القحط الشديد ،وحينئذ تتخذ الهجرة شكلا اجتماعيا ،فيتجه الرحل إلى مناطق بعيدة [1].

وقد قسم الباحث الألماني بول جير هارد ميرنر P.G.Merner في كتابه :عن الرحل في شمال أفريقية (الرحل) ،إلى أربع فئات أساسية هي :رحل الهضاب (بما فيهم أولاد نايل) ،ورحل الصحراء ،وأشباه الرحل ،ورحل الجبال .والخاصية التي تشترك فيها جميع فئات الرحل ،انهم يعيشون جميعا في نظام اقتصادي ،يقوم أساسا على تربية الحيوانات ،وينتجعون مناطق الرعي تبعا لما تمليه ظروف الطقس وتوفر العشب والماء [2]. أما رحل الهضاب (وهم الفئة التي نريد دراستها) ،فيقيمون في المناطق الواقعة جنوب الأطلس الصحراوي في الشتاء والربيع ،حين تهطل كميات كافية من الأمطار في هذين الفصلين ،وأما في فصلي الصيف والخريف ،فهم مضطرون إلى التنقل في اتجاه الشمال ،حتى يصلوا في كثير من الأحيان إلى التل [3].

3- التعريف بقبائل أولاد نايل :

هناك مجموعة من الكتب والدراسات ،التي تطرقت إلى نسب سيدي نايل ،وهذه الكتب بدورها اعتمدت على مدونات قديمة ،أجمعت كلها على نسب سيدي نايل الشريف ،وقد تطرقت هذه المدونات إلى شجرة النسب الشريف لسيدي نايل [4].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كما أن التقارير التي قام بها الفرنسيون عند غزوهم للجزائر ،والتي انتهت إلى النسب الشريف لسيدي نايل ،وأثبتت النسب الشريف لمحمد سيدي نايل بن عبد الله الخرشفي المشيشي الحسني ،من خلال مصادر كثيرة من مصر والحجاز ،والشام وتركيا وتونس والمغرب [5].

ومن تلك المصادر على سبيل المثال لا الحصر نذكر منها :

- الإمام الشريف احمد الشباني في كتابه :مصابيح البشرية في أنباء خبر البرية .
- العلامة أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في مخطوطه :أئمة الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار.
- الإمام احمد بن محمد العشماوي في رسالته :السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في انساب أهل البيت المطهر.

وهناك مصادر ومؤلفات أخرى كثيرة لا يمكن إحصاؤها كلها [6].

وتشير بعض الروايات إلى أن سيدي نايل أي محمد بن عبد الله الخرشفي ، ولد في الساقية الحمراء ولما اشتد عوده خرج باحثا عن العلم والحكمة والثروة .وكانت أول محطاته في مليانة بالقطر الجزائري أين تتلمذ على يد الشيخ سيدي احمد بن يوسف ،وبقي عنده بضع سنوات وكان خلالها تلميذا مثاليا .وبعد أن امتحنه شيخه نال إعجابه ودعا له بالبركة والعلم والحماية وكثرة الولد ،وان تكون السماء غطاءهم والأرض فراشهم وان تكون وجوههم وقلوبهم صافية وان يمكنهم قيادة الرجال كما تقاد الخراف .ومن ثم لقب محمد بن عبد الله بلقب نايل لأنه نال بركة الشيخ ودعوته الصالحة .وبعد ذلك أمره الشيخ بالتوجه إلى الجنوب فامتثل لأمره ووصل إلى عين الريش ،وحسب هذه الرواية تكون الواقعة قد حدثت مع بداية القرن 16م ،وتحديدا بين سنتي 1509م ،و1524م ،لأن الشيخ سيدي احمد بن يوسف توفي في سنة 1524م [7].

وهناك روايات كثيرة مختلفة حول أبناء سيدي نايل ،الذين تكاثروا وتكونت منهم قبائل أولاد نائل فيما بعد ،كأولاد زكري الذين أقاموا حول أولاد جلال .وأولاد يحي الذين بقوا حول عين الريش ثم تفرقوا بعد حين ،وأولاد فرج بقوا شمال عين الريش ،وأولاد عيسى الذين بحثوا عن مناطق توسع جديدة نحو الغرب من عين الريش ،أما أبناء مليك فقد انتشروا في زاغز [8].وقد انحدرت عن سيدي نايل قبائل اليوم هم :أولاد سيدي محمد ،أولاد عيسى ،أولاد سعد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

بن سالم ،أولاد فرج ،أولاد عامر ،أولاد زكري (أولاد حركات ،أولاد ساسي ،أولاد رابح) [9]. حسب بعض الكتابات المعاصرة .

4- مواطن قبائل أولاد نايل وعلاقتهم بالتوازنات المائية :

استقر سيدي نايل بداية في منطقة عين الريش ،ومن ثم بدأ أبناؤه وأحفاده :أي قبائل أولاد نايل في التوسع ،ومن خلال تسمية المنطقة يظهر أنها عبارة عن عين للمياه ،ثم توغلوا في سهل فيض البطمة .وقد عرفت هذه القبائل بأولاد عيسى الغرابة ،بينما فرع منهم عرفوا بأولاد نايل الشراقة بقوا شمال عين الريش ،وهؤلاء سيستقرون حول بوسعادة .أما أولاد عيسى الغرابة فقد احتموا بجبل قديد وجبل بوكحيل خوفا من غارات الأعداء ،ثم توجهوا إلى سهل مسعد الغني بالمياه والمراعي .وقد تفرعت عن أولاد عيسى الغرابة قبائل أولاد عيفة وقبائل أولاد أم الإخوة ،وهي تسميات لها تاريخها يصعب تفسيرها في هذا المقال .وبذلك يكون أولاد عيسى قد أقاموا موطنا لهم يمتد من عين الريش إلى الويصال ،ومن مسعد إلى المعلبة ،وتحالف معهم أبناء عمومتهم أولاد يحي بن سالم ،فوصلت حدود موطنهم إلى وادي جدي ،وبذلك أصبح الطريق أمامهم مفتوحا نحو الصحراء [10].

لقد كان الموقع الجغرافي لقبائل أولاد نايل استراتيجيا (أولاد عيسى ،أولاد سعد بن سالم ،أولاد يحي بن سالم ...الخ) ،فقد سيطروا على سهول فيض البطمة ،والمعلبة ،ووصلوا حتى حدود وادي جدي ،وكان عليهم تأمين طريق لتوسع مراعي مواشيهم شتاءا نحو الصحراء وتقرت ،بحثا عن الكلأ والماء .كما استوطنوا التي ماتزال إلى اليوم لأولاد سعد بن سالم ،والموجودة حاليا بين سهول زنينة (الإدريسية حاليا) ،ودمد ،مرورا بالقنطرة (الدويس ،عين الشهداء) ،وسهل عين الابل وحوض نثيلة ،وجزء من سهل مسعد [11].

ومما سبق يمكن القول :

إن موطن أولاد نايل يعتبر منطقة استراتيجية تتوفر على عيون مائية ومصادر كبيرة ،وسهول منبسطة صالحة للرعي ،من جهة أخرى فهي تؤمن لهذه القبائل التنقل بمواشيها بين رحلتين متتاليتين :

- رحلة في الشتاء والربيع نحو الصحراء .
- ورحلة في الصيف نحو الشمال أي التل .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وهذه المناطق يظهر من خلال تسمياتها ومميزاتها التضاريسية أنها غنية بالمياه مثل :(عين الريش ،عين الابل ،عين معبد ،عين الشهداء ،عين سلمانة ،وادي مسعد ،وادي جدي) ،كما أنها منبسطة وغنية من حيث نباتاتها مثل : (سهل زنينة ،سهل مسعد ،سهل عين الابل ،سهل تعظميت ،سهل انثيلة) .

5- ترحال قبائل أولاد نايل خلال العهد العثماني :

لقد وضعت السلطة العثمانية قبائل جنوب التيطري بما فيها عروش الجلفة (أولاد نايل) ،تحت سلطة بايات التيطري المدية ،والذين كلفوا أساسا بجمع المغارم والضرائب المختلفة من هذه القبائل ،وكانوا يعينون شيخا عن كل عرش لهذا الغرض ،ونظرا لطبيعة عروش أولاد نايل ،التي تميزت بالحل والترحال المستمرين ،فإن العثمانيين لم يملكوا أي سلطة سياسية أو قضائية عليهم ،سوى جمع المغارم ،وغالبا ما كانت عروش أولاد نايل ترفض وتقوم بانتفاضات ،جعلت بايات التيطري يقومون بشن غارات في فصل الشتاء مغتنمين فرصة رجوع أولاد نايل إلى مضاربهم ،أو فرصة تجمعهم استعدادا للرحيل مرة أخرى [12]. وقد أشار حمدان بن عثمان خوجة إلى وجود قبائل رحل خلال العهد العثماني منهم قبائل أولاد نايل ،بقوله: **(ينقسم سكان الأماكن المنخفضة والسهول إلى قسمين هما :أهل الصحراء الرملية ،واهل التل ساكني الجبال الصغيرة القليلة الارتفاع ،والجميع من أصل عربي ،ويتكلمون اللغة العربية ،مسكنهم تحت الخيام وليس لهم مكان مستقر ،ينزلون حيث يجدون المرعى لماشيتهم)**[13].

وكانت قبائل أولاد نايل تخرج عن طاعة دايات الجزائر من الحين إلى الآخر ،عندما يتسنى لها ذلك ،لذلك تلجأ السلطة العثمانية إلى إرسال المحلة (القوة العسكرية) لتأديب تلك القبائل ،ومثال ذلك ما حدث في شهر أكتوبر من سنة 1773م ،عندما قام باي قسنطية صالح باي بحملة عسكرية ضد قبائل أولاد نايل ،والتي كانت قد شقت عصا الطاعة في وجه داي الجزائر ،على الرغم من أن هذه القبائل كانت تابعة إداريا لبايلك التيطري ،إلا أنها كانت تتردد في بعض الأحيان على سهول قسنطينة وأسواقها ،وقد حصل الباي على غنائم كبيرة بعد أن انتصر على أولاد نايل في معركة مالح أو مسيف ،وقد بعث إلى داي الجزائر بكثير من الغنائم مع ستين (60) رأسا وأربعمائة زوج أذن للعصاة الذين قضى عليهم ،وذلك ليظهر للداي مدى انتصاره على القبائل المتمردة بنواحي الجلفة وبوسعادة (اليوم) ،التابعة لبايلك التيطري[14].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وفي سنة 1775م تمكن الباي مصطفى الوزناجي ،من فرض سيطرته على قبائل أولاد نايل بفضل قوته وحنكته ،وبذلك حد من تحركاتهم ،وتمكن من مراقبتهم أثناء ترحالهم وضمن دفعهم للضرائب ،وعدم فرارهم [15]. لكن ذلك لا يؤكد استمرار السيطرة المباشرة على قبائل أولاد نايل . وبذلك يمكن القول أن : العثمانيون هم أول من حاول مراقبة ترحال قبائل أولاد نايل حتى يضمنوا ولاءها ،ودفع المغارم التي تستوجب عليها ،وقد خصصوا لذلك محلة خاصة كانت تقوم بهذا العمل ،كما حاولوا وضع نوع من الاستقرار لتلك القبائل حتى لا تتحرك في مساحات واسعة في ترحالها بين الصحراء والتل . ومازالت توجد حتى يومنا تسمية لمنطقة **ضاية المحلة** جنوب مدينة الجلفة ،تشير بعض الروايات أن المحلة العثمانية كانت تتوقف بها ،عند توجهها لجمع الضرائب من قبائل أولاد نايل .

6- مقاومة قبائل أولاد نايل للاستعمار وسياسة فرنسا للتحكم فيهم :

لم يدخر أولاد نايل جهدا في مقاومة الاستعمار الفرنسي منذ دخوله للجزائر ،فقد انضووا تحت لواء الأمير عبد القادر وانضموا إلى مقاومته في سنة 1836م ،ذلك أن الاستعمار لم يوليهم اهتماما كبيرا في البداية ،لاعتقاده انهم قبائل حيادية منشغلة بتحفيظ القرآن وطلب العلم الشرعي يغلب عليهم التصوف ،لكنهم انتظموا تحت إمرة زعيمهم الشيخ عبد السلام بن القندوز بن الأحرش ،وثاروا في وجه الاستعمار الفرنسي ،وفي سنة 1838م استشهد الشيخ بن الأحرش بالأغواط أثناء حصار مدينة عين ماضي من طرف الفرنسيين ،والذي شارك فيه أولاد نايل ب 175 فارس و400 من المشاة ،فتزعمهم الحاج عيسى[16].

لقد استطاع أولاد نايل تأسيس جيش صغير تابع للأمير عبد القادر ،كما قاموا بتمويل جيش الأمير بالتمور القادمة من تقرت وبسكرة .وقد خاض أولاد نايل تحت لواء الأمير عبد القادر معارك عدة كمعركة عين الكحلة ،ومعركة الخرزة ،واستمرت انتفاضتهم في مواجهة الاستعمار الفرنسي ؛بقيادة زعماء كثيرون منهم :التلي بن الأكحل في سنة 1845م ،والطيب بوشنافة في سنة 1861م ،والشيخ عبد الرحمان طاهري في سنة 1914م وغيرها كثير [17].كما كانت مشاركتهم مشرفة في الثورة التحريرية الكبرى منذ اندلاعها في الفاتح من نوفمبر من سنة 1954م ،وفعالة منذ تأسيس الولاية السادسة في سنة 1956م ،والتي استمرت حتى استقلال الجزائر.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ونتيجة لذلك حاولت فرنسا القضاء على النظام الاجتماعي لقبائل أولاد نايل ،والذي يعتمد على الاتحاد والترحال ،نظرا للموقع الاستراتيجي والاقتصادي ،والتعداد البشري ،ونظرا لموقفهم المؤيد للمقاومات الشعبية منذ عهد الأمير عبد القادر .وتقوم السياسة الفرنسية على تكسير صفوف أولاد نايل [18].فقد اعتمدت السياسة الفرنسية على تقسيم قبائل أولاد نايل على مناطق إدارية تابعة لبايلك الشرق (قسنطينة) ،وأخرى لبايلك الوسط للجزائر ،وأخرى لبايلك التيطري بالمدية ،وأخرى تحت سلطة خليفة الأغواط ،وذلك لأن مضارب أولاد نايل تمثل حلقة وصل بين الصحراء والتل [19].

لقد عملت فرنسا على توطين قبائل أولاد نايل من أجل ضمان السيطرة عليهم ،وخوفا من ثوراتهم وفرارهم ،من خلال نشاطهم المعتاد الترحال ،لذلك أقامت مراكز عسكرية على طول مضاربهم تحولت فيما بعد إلى مراكز عمرانية لتجميعهم نذكر منها :قلتة السطل ،مدينة الجلفة 1850م ،عين الإبل 1852 ،الشارف ،زنينة (الإدريسية حاليا) ،مجبارة ،مسعد ،دمد ،الحنية ،عمورة ،تعظميت .....الخ [20]. وخلاصة القول أنه : رغم السياسة الفرنسية للحد من ترحال قبائل أولاد نايل وتنقلهم ،لضمان مراقبتهم ،إلا أن الترحال ظل الميزة الغالبة على حياة أولاد نايل ،ونشاطهم الرئيسي خاصة نحو الصحراء ،والمناطق الوعرة ،بحثا عن مصادر المياه والكلأ لمواشيهم ،ولم يكن توجههم إلى المراكز الحضارية إلا للتسوق ،والإتجار في الأسواق الأسبوعية فقط .

7- ترحال قبائل أولاد نايل من 1962 إلى يومنا في الجزائر :

أما بعد استقلال الجزائر فقد تحرر أولاد نايل مثل غيرهم من فئات الشعب الجزائري من القيود ،التي كانت قد فرضت عليهم من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية ،فقد واصلت قبائل أولاد نايل نشاطها المعتاد والمتمثل في الترحال ،وعلى رغم سياسة الدولة الجزائرية الرامية إلى توطين البدو الرحل وضمان استقرارهم ،للاستفادة من حقوقهم في مجال التعليم المجاني والصحة العمومية ،وحق السكن ،إلا أن أعدادا كبيرة من قبائل أولاد نايل فضلت الحفاظ على نمط معيشتها والترحال بين الربوع الصحراء الجزائرية ،والمنطقة التلية مرورا بمضاربها الأصلية في المناطق السهبية [21]. ومن هذه القبائل نذكر على سبيل المثال لا الحصر ،أولاد سعد بن سالم (أولاد الرقاد) وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى عدة عروش وهم :أولاد امباركة وأولاد عبيد الله وأولاد بلول وأولاد مجبر .وأولاد يحي بن سالم ،أولاد عيسى ،أولاد سي

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

محمد ،والتي ماتزال تمارس نشاطها في الترحال ،من أجل الوصول إلى مواطن الماء والكلأ ،في رحلتين خلال فصلين كسالف عهودها السابقة ،محافظة على نشاط أجدادها الاعتيادي ،في خيامها الحمراء ،مع قوافلها المتنوعة من مواشي الأغنام والماعز والابل والخيول رغم قلتها [22].

وتعود هذه القبائل لمضاربها في فصل الخريف في المنطقة السهبية الممتدة بين الجلفة والأغواط ،والمسيلة ،وبسكرة والبيض ،لتنطلق في رحلة الشتاء وحتى نهاية فصل الربيع إلى مناطق الماء والرعي في الأغواط ،والبيض وصولا إلى النعامة وبشار عندما تتساقط الأمطار في هذه المناطق ،ومن هذه القبائل خاصة أولاد الرقاد (أولاد سعد بن سالم) ،الذين ينطلقون من مضاربهم في :**عين الابل ،والجلفة ،ومسعد ،وفيض البطمة ،والقنطرة وتعظميت ...** ،وبحلول شهر ماي تعود هذه القبائل الرحل في رحلة العودة ،مارين بمضاربهم ،باتجاه المناطق التلية لقضاء فصل الصيف ،حيث الماء والكلأ في سهول :تيارت ،وتيسمسيلت ،وصولا حتى معسكر [23].

وفي حالات أخرى نجد هذه القبائل الرحل تتبع دائما مناطق التساقط خلال فصلي الشتاء والربيع ،فنجدها تتوجه باتجاه المناطق الجنوبية الشرقية ،وباتجاه الصحراء الوسطى ،مثل ما حدث مع بداية سنوات الألفية الثالثة ،فقد توجهت هذه القبائل إلى سهول المنيعة بغرداية ،وسهول القرارة وزلفانة ،وقطارة نظرا لسقوط الأمطار بتلك المناطق ،وبقيت تلك القبائل بمواشيها بها إلى غاية شهر ماي ،ثم توجهت في رحلة العودة باتجاه المناطق التلية أين ستقضي فصل الصيف وبداية فصل الخريف ،حيث يتوفر الماء والكلأ [24].

8- أهم حواضر ومدن أولاد نائل اليوم في الجزائر:

على الرغم من ميزة الترحال والبدو التي ارتبطت بقبائل أولاد نايل ،إلا انهم استطاعوا أن يستقروا اليوم ،ويكونوا حواضر ومدن كبيرة وبتعداد سكاني ضخم ،حيث أصبحت تلك الحواضر تضاهي اهم المدن الجزائرية عمرانا وتعدادا .وبطبيعة الحال فإن أهم حاضرة لأولاد نائل هي مدينة **الجلفة** التي تعد الرابعة من حيث تعداد سكانها وطنيا ،وهي اليوم مركز تجاري هام ،تتجمع فيه البضائع المتنوعة القادمة من مختلف جهات الوطن ،من الشمال إلى الجنوب والعكس ومن الشرق إلى الغرب والعكس ،لتوزع بين مختلف مناطق الوطن مرة أخرى .وهناك مدينة لا تقل أهمية وهي مدينة **بوسعادة** بموروثها الثقافي والسياحي الغني .إضافة إلى مدن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أخرى كبرى كمدينة **حاسي بحبح** ،ومدينة **الإدريسية** ،ومدينة **مسعد** العريقة ،بالإضافة إلى مدينة **عين الابل** المضيافة ،ومدن **فيض البطمة** وعين **معبد** وزكار **والدويس** ....الخ [25].

هذا ولا ننس أولاد نايل المستقرين في حواضر أخرى **كبسكرة** و**أولاد جلال** ،**وتقرت** و**الأغواط** و**ورقلة** و**غرداية** فهم يشكلون نسيجا هاما لا يمكن إهماله ،دون الإشارة إلى دورهم الكبير والفعال في هذه الحواضر ،من حيث التعداد والسياسة والاقتصاد وفي تركيبة المجتمع [26].

يعد تاريخ أولاد نايل من المواضيع الهامة والممتعة ،والتي تشكل جزءا مهما من تاريخ الجزائر خلال العصرين الحديث والمعاصر ،نظرا للوزن الديمغرافي والثقل التاريخي والروحي لقبائل أولاد نايل .من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه أولاد نائل في الجزائر خلال الفترتين العثمانية والفرنسية ،وفي مرحلة الجزائر ما بعد الاستقلال والذي مازال مستمرا حتى يومنا .لذلك يمكن أن نستخلص بعض النتائج من هذه الدراسة القصيرة حول موضوع أولاد نايل ،وهي كالتالي

- شح المصادر المتعلقة بتاريخ أولاد نايل ،خاصة في الفترة الحديثة أي الفترة العثمانية .

- تبقى الكتابات الغربية ونقصد هنا الفرنسية ،ونحن نعي جيدا القصد من وراء تلك الكتابات ؛المصادر الأساسية لكتابة تاريخ أولاد نايل ،وهذه ميزة لا تخص أولاد نايل دون غيرهم ،فتاريخ الجزائر عموما يشترك في هذه الميزة .

- نظرا للطابع القبلي والترحال المستمر لقبائل أولاد نايل ،تبقى الروايات الشفوية احدى المصادر الهامة لكتابة تاريخهم .

- يعتبر النسب الشريف لأولاد نايل حسب المصادر المتوفرة والروايات المتداولة حقيقة قطعية ،لا يمكن الشك فيها أو الحديث عنها فهم ينحدرون من نسب علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم .

- لم يرضخ أولاد نايل نهائيا للسيطرة العثمانية وظلوا يثورون باستمرار ،وهذا نظرا لطبيعة ترحالهم التي تستوجب الحرية والتنقل بين المناطق بحثا عن الماء والكلأ .

- قاوم أولاد نايل سياسة التوسع الفرنسي وانضموا إلى مقاومة الأمير عبد القادر ،وكان لهم دور كبير في استمرار مقاومته وانتشارها في المناطق السهبية من الجزائر.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- حاولت فرنسا انتهاج سياسات متنوعة وشاملة من أجل تمزيق النسيج الاجتماعي والعسكري والقبلي لأولاد نايل ،بعد أن اكتشفت قوتهم ،لإضعافهم والحيلولة دون استمرار نشاطهم الترحالي .

- بدأت فرنسا في بناء حواضر في المنطقة السهبية من أجل توطين أولاد نايل وتقسيمهم بين المناطق المعروفة :الجلفة ،المسيلة ،الأغواط ،بسكرة ،غرداية ،وورقلة .

- كان لأولاد نايل دور كبير في الثورة التحريرية من اندلاعها ،وفي الولاية السادسة وحتى الاستقلال .

- يشكل أولاد نايل اليوم قوة ضاربة في الجزائر على جميع الأصعدة ،الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية ،بحواضرهم المتعددة وبقبائلهم الرحل التي حافظت على نشاطها الترحالي إلى يومنا .

الهوامش:

(1) إسماعيل العربي :**الصحراء الكبرى وشواطئها** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1983 ،ص 36 .

(2) المرجع نفسه ،ص ص 37-38 .

(3) نفسه ،ص 39 .

(4) الطيب بن لخضر قرشي الغريبي :**زهرة الخمائل في نسب أولاد سيدي نايل ومن جاورهم من الأشراف والقبائل** ،دار الخلدونية ،ط1 ،الجزائر 2016 ،ص ص 84-85 .

(5) المرجع السابق نفسه ، ص 86 .

(6) نفسه ، ص87 .

(7) فرونسوا دو فيلاري :**السهوب عبر العهود (مرائي لتاريخ الجلفة)** ،ترجمة :عيسى بن محمد بونوة ،مطبعة رويغي بالأغواط ،ط1 ،الجزائر 2015 ،ج1 ،ص ص 143 -145 .

(8) المرجع نفسه ،ص 162 .

(9) بن يوسف تلمساني :**التوغل الفرنسي في السهوب الوسطى وتخوم الصحراء –دراسة أرشيفية)- ،في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962** ،**في فعاليات الملتقى الوطني الأول** ،بجامعة زيان عاشور ،يومي 25/26 جوان 2013 الجلفة ، ص ص 15-45 .

(10) فرونسوا دو فيلاري :المرجع السابق ،ص ص 162-166 .

(11) نفسه ،ص ص 169-170 .

(12) المولود الأمين قويسم :**المقاومة الصوفية للاحتلال بمنطقة الجلفة ،في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962** ،**في فعاليات الملتقى الوطني الأول** ،بجامعة زيان عاشور ،يومي 25/26 جوان 2013 الجلفة ، ص ص 73-74 .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

(13) حمدان بن عثمان خوجة :**المرآة** ،ترجمة وتعليق :محمد العربي الزبيري ،منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والكتاب ،الجزائر 2005 ،ص 31 .

(14) ناصر الدين سعيدوني : **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، ط2، دار البصائر، الجزائر 2009 ،ص ص 242 .

(15) فرونسوا دو فيلاري :المرجع السابق ،ص ص 162-166 .

(16) محمد الذيب :**صورة أولاد نايل في الكتابات الفرنسية** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،تخصص أدب مقارن ،إشراف : د/حميد ناصر خوجة ،جامعة الدكتور يحي فارس المدية ،قسم اللغة والأدب العربي ،الجزائر 2011-2012 ،ص ص 16-17.

(17) نفسه ،ص 17 .

(18) بن يوسف تلمساني :المقال السابق ،ص 19 .

(19) المقال نفسه .

(20) عبد الفتاح بن جدو :**نظرة على المراكز العمرانية والتجمعات السكنية بمنطقة الجلفة خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ،في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962 ،في فعاليات الملتقى الوطني الأول** ،بجامعة زيان عاشور ،يومي 26/25 جوان 2013 الجلفة ،ص ص 93-103.

(21) حقائق يرويها أفراد من البدو الرحل من عناصر أولاد نائل مازالوا على قيد الحياة ،من عروش أولاد سعد بن سالم ،وأولاد عيسى ،وأولاد يحي بن سالم .(خاصة عروش أولاد الرقاد) .

(22) روايات شفوية لأفراد من البدو الرحل من أولاد نائل .

(23) روايات شفوية لأفراد من البدو الرحل من أولاد نائل .

(24) روايات شفوية لأفراد من البدو الرحل من أولاد نائل (أولاد الرقاد) .

(25) متابعة ميدانية من خلال الواقع المعاصر اليوم .

(26) متابعة ميدانية من خلال الواقع المعاصر اليوم .